وصف المراكب والسفن في أشعار الفرزدق وجرير وبشّار

للباحث

أ.م. د. عبد المطلب محمود سلمان

جامعة المثنى – كلية التربية الأساسية

الملخص:

يكاد البحث في أشعار الشاعرَين الأمويين : الفرزدق وجرير، يقتصر في العديد من الدراسات والبحوث الأكاديمية، على ما عُرف عنهما من تبادل الأهاجي في ما سُمِّي بـ (النقائض)، بينما اقتصرت معظم هذه الدراسات والبحوث التي تناولت شعر الشاعر المخضرم الأموي – العبّاسي بشّار بن بُرد على محاولة تبيّن أوجه إفادة الشاعر البصير من تشبيهات المُبصرين، في أغراضه الشعرية الرئيسة التي تضمّنها ديوانه الضخم، الغزل والمديح والهجاء، من دون أن تحظى أغراض وفنون شعرية عديدة تفرّعت عن الأغراض الشعرية الرئيسة المعروفة، مبثوثة في نصوص هؤلاء الشعراء الثلاثة، إلا بالقدر اليسير من الاهتمام، لا بل بعدم الالتفات إليها غالبا.

وفي بحثي هذا محاولة أمكنني التوقف عَبرها على غرض (الوصف)، وتحديداً على تفاوت كمّيّ أوّلاً في وصف المراكب والسفن في أشعار الشعراء الثلاثة، لأنه غرض انبثَّ عرَضاً في نصوصهم التي كانت ظهرت عبر غرَضيْ النسيب والمديح أصلا، لكنه غرض فرعي بدا مثيراً للاهتمام والبحث، لجدَّته من جانب وللنتائج التي خلص إليها فيه، من جانب آخر.

المقدمة :

لم يكن وصف المراكب النهريّة الصغيرة والمتوسطة الأحجام، بلُه السفن البحريّة الكبيرة الحجم نوعاً ما، كثير الظهور في الشعر العربي، ولاسيما في العصرَين الأدبيَّن : عصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي) والعصر الإسلامي، اللهم إلا وصفاً عابراً ضمن بعض أغراض الشعر المعروفة، ولاسيما غرض المديح وما تضمنه من رحلة شاقة إلى الممدوح، أو بعض شعر الغزل والنسيب وما تضمنه من تشبيه للرحلة إلى حيث الحبيبة من متاعب يستشعرها الشاعر العاشق في رحلته، حتى لقد جعل الأستاذ الدكتور حسين عطوان – أمدّ الله في عُمره – وصف المراكب والسفن في أشعار عدد من شعراء ما قبل الإسلام، فالعصر الإسلامي للأدب العربي حتى العصر العباسي الثاني، ضمن كتاب له قدّم من خلاله عرضاً تاريخياً لظهور (المراكب والسفن) في إطار

وصفه للبحر والنهر في الشعر المذكورة عصوره آنفاً[١] ، بحيث بدا وصفه لوسائط النقل المائيّة هذه وصفاً عرَضيّاً، وليس مقصوداً لذاته، مثلما أظهرته فصول كتابه ومباحثه.

وقد صدر معظم ذلك الوصف المخصوص للمراكب النهرية والسفن البحرية، من شعراء عاشوا غالباً في البوادي والصحارى والمدن، وكان ذلك الوصف يقتصر على تشبيه وسائط النقل هذه بسفن البوادي والصحارى(النوق)[٢]، حتى إذا ما اقترب البحث من العصر الأدبي العبّاسي وتغلغل في عصوره المتتالية، وما تداخل معها من "عصور" الأدب العربي في الأندلس، صار لهذا الفن ضمن غرض الوصف بين أغراض الشعر العربي التقليدية حضور أكبر، نظراً لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، وبلوغها شواطئ العديد من الأنهار والبحار المعروفة، إلا أنه ظلّ غرَضاً عرَضيّاً ضمن قصائد المديح، ولم يظهر مستقلاً أو يُضَف إلى أغراض الشعر العربي الرئيسة المعروفة، شأن العديد من الأغراض الجانبية.

ويمكن القول إن أقدمَ نصّ شعري وصفَ المراكب النهرية والسفن البحرية كان ضمن قصيدة غزل للشاعر الجاهلي امرئ القيس، في قوله واصفاً ظُعن حبيبته : (الطويل)

**بعينـــيَّ ظُعــنُ الحـيِّ لمّا تحمَّلـــوا		لـدى جانـبِ الأفلاجِ من جنبِ قيمَـرا**

**فشبّهتُهـــم في الآلِ لمّـا تكمَّشـــوا		حدائـقَ دَومٍ أو سفينـــاً مُقيَّـــــرا[٣]**

كما ظهر أيضاً في داليّة الشاعر القتيل طرَفة بن العبد، التي عدَّها بعض النقاد القدامى من بين المعلَّقات، وتحديداً في الأبيات الثلاثة التي قال فيها : (الطويل)

**كأنَّ حُــدوجَ المالكيّـــةِ غُـــدوة		خلايـا سفيــنٍ بالنواصـــفِ مـــن دَدِ**

**عدَوليَّةٌ أو من سفيـن ابن يـامِـنٍ		يجـورُ بهـا البَحّـارُ طَــوراً ويهتــدي**

**يشُـقُّ حَبابَ المـاءِ حيزومُهـا بهـا		كما قسَّمَ التـُــربَ المُفايِلَ باليـــدِ[٤]**

ثم قدَّم صاحب (الأنوار ومحاسن الأشعار) باباً جعل عنوانه (في البحر والمراكب والسفن)[٥]، ذكر في مفتتحه ما يُشير إلى التفكير بأول حملة عسكريّة بحريّة في مرحلة صدر الإسلام من العصر الأدبي الإسلامي، جرى بين الخليفة الثاني عُمر بن الخطاب (رض) وبين عَمرو بن العاص، وما أبداه ابن العاص من مخاوف منها لجهل العرب البُداة ركوب البحر في وقتهم ذاك، قبل أن يعرض صاحب الكتاب المذكور لعدد من النصوص الشعريّة على امتداد عشر

صفحات، بدأها بأربعة أبيات لعَمرو بن برّاقة (الهمداني)(*)، أظهر من خلالها شيئاً من تلك المخاوف، فضلاً عن وصف المركب التي كان عليه ركوبه، وكأنها شاهد على ما أبداه ابن العاص منها للخليفة، في قوله:(المتقارب)

ألا هــل للهموم مـن انفــراجِ وهـل لي من ركـوبِ البحـر ناجـي

أكُـلَّ عشيَّـــةٍ زوراءَ تـهـــوي بنـــا في مُظلِـم الغَمَـــراتِ ساجـــي

يَشُـقُّ المـاءَ كلكلُهـــا مُلِحّـــاً إلــى ثبَـــجٍ من المـــاءِ الأُجـــاج

كــأنَّ تتـــابُـعَ الأمـــواج فيــهِ نِعــــاجٌ يَرتعِيـــــنَ إلـــى نِعـــاج(٦)

وأعقبها الشمشاطي بخمسة أبيات مماثلة في معناها، قدّم لها بالقول : "لأعرابي أغزاه الأسوَد بن بلال البحر"، قال ذلك الأعرابي فيها : (الطويل)

أقولُ وقــد راحَ السفيـــنُ مُلَجَّــجاً وقـد بعُــدَتْ بعــــد التفـرُّق دورُ

وقد عصَفتْ ريحٌ من الموتِ قاصِفٌ وللبحـر من تحـتِ السفيـن هريـــرُ

ألا ليتَ أجـري والعطـــاءُ صَفـا لكـمْ وحظّـي حظـوظٌ في الزمـام وكُـــورُ

فللـهِ رأيٌ قـــادَنـي لسفينـــــــةٍ وأخضـرَ مَـــوّار السـرابِ يَمـــورُ

ترى مَتنـهُ سَهـــلاً إذا الريحُ أقلعـــتْ فـإنْ عصَفـتْ فالسهلُ منـهُ وُعـورُ(٧)

إذ قدّم ذلك الإعرابي صورةً مدهشة عن مدى خوفه – حدَّ الرعب والهلع – من ركوبه السفينة محارباً، وما واجهه من عواصف عاتية ومن أصوات البحر المرعبة، حتى لقد تمنّى أن يَعفيه أولو الأمر من تلك الرحلة الجهاديّة في سبيل الله، وأن يمنعوا عنه أجره وعطاءه منها، فضلا عن وصف تلك الرحلة البحريّة الدقيق، التي اضطرَّه عامل الخليفة (هشام بن عبد الملك) على بحر الشام، الذي سمّاه الشمشاطي (الأسوَد بن بلال) إلى ركوبها.

وإذ وقفتُ على دراسة الأستاذ الدكتور سحاب الأسدي الموسومة بـ (الرحلة في الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي)، وجدته يفيد من كتاب الدكتور حسين عطوان المذكور آنفاً، ما دامت دراسة الدكتور الأسدي انصبّت في إطار بحث الدلالات الموضوعية والفنية لموضوع الرحلة، وما وجده في أشعار كل من عبيد الله بن قيس الرقيّات والأخطل التغلبي والفرزدق والنابغة الشيباني، ووضعه تحت عنوان صغير هو "صور مبتدَعة"، من وصف هؤلاء الشعراء للسفن، ثم

انتهى إلى أن ذلك كان "في استثناءات قليلة" ضمن أدوات الرحلة[٨] ولم يظهر إلا نتيجة لما وصلت إليه الحياة العربية في ذلك العصر من تطوّر ومن اتساع جغرافي.

وبعيداً عن الإطالة في هذه المقدمة، سيقف البحث على وصف المراكب والسفن في أشعار الشعراء الثلاثة المخصوصين به، الذين جاء اختياري لهم تحديداً لارتباط وصف أوّلهم (الفرزدق) بتهكّمه واستخفافه ممن ارتبطت حياته بالبحر وقيادة السفن، وخوفه ركوبها ثم اعتياده عليه فضلاً عن الوصف الخارجي لها وتشبيهها بما سبقه الشعراء إليه، ولاقتصار ثانيهم (جرير) على الوصف الخارجي (النقلي/ التشبيهي) لها، ولما وصل إليه ثالثهم (بشّار) من براعة في وصفها وتجاوزه ذلك إلى اعتماد وصفه المبالغة الغريبة، مدفوعاً إلى ترسيخ صور مديح غير تقليدية في ذهن ممدوحيه.

لقد أردت أن أخلص من بحثي هذا إلى الإشارة إلى تجاهل هذا الفن من فنون غرض الوصف، وما تضمنه من تفاصيل دُرس بعضها وظلّ بعضها الآخر مغيَّباً، عسى أن يكون التوفيق قد حالفني فيما بحثت واستنتجت.. ومن الله التوفيق والسداد.

المراكب والسفن في أشعار الفرزدق وجرير:

إذا كان الوصف يعني بحسب ابن رشيق "الكشف والإظهار"[١١]، ويدخل فيه "التشبيه والاستعارة" بحسب ما نقله عن الرمّاني [١٢]، وهو "محاكاة الشيء وتمثيله بذكر نعوته"، ومن أنواعه : الوصف النقلي (التصويري/التشبيهي)، والوصف التجسيمي والوصف التشخيصي[١٣].

وعند البحث عن وصف المراكب النهرية والسفن البحرية في أشعار الفرزدق، يمكن الوقوف على عدد من الأبيات التي يرد فيها وصف المراكب النهرية، منها قوله في إحدى مقطوعاته التي قالها في مدح يزيد بن عبد الملك وهجاء يزيد بن المهلب حين تم صلبه : (البسيط)

لقد عجِبتُ من الأزديِّ جاء به   يقودُه للمنايا حَينُ مغرورِ

حتى رآهُ عبادُ اللهِ في دَقَلٍ   مُنكَّساً وهو مقرونٌ بخنزيرِ

لَلسّفنُ أهوَنُ بأساً إذ تُقوِّدُها   في الماءِ مطليَّةَ الألواح بالقيرِ

وهُم قيامٌ بأيديهِم مَجادِفُهُم   مُنَطّقينَ عُراةً في الدقاقير[١٤]

فقد جعل الفرزدق من وصفه لعملية صلب يزيد بن المهلب على عمود شبيه بدقل السفينة (صاريها) وقد قُرن به بخنزير على جاري عادة معاقبة المذنبين أيامئذ، فضلاً على تعليق زق خمر وسمكة إلى جانبه، بصورة الملاّح المعلّق بصاري السفينة، لكنه بغية السخرية منه راح يخاطبه

مُخبراً إيّاه بأنّ قيادته لرجال السفن، التي وصفها بأنها مطلية الألواح بالقار وأن ملاّحيها وهم يؤدون عملهم بالتجديف متمنطقين بلباس البحر (الدقرور/التبّان)، وهي السراويل القصيرة جداً التي لا تكفي سوى لتغطية العورة، أهون وأقلّ بأساً من هذا الهوان الذي آلَ إليه أمره جرّاء تمردّه على السلطة وتلقيه هذا الجزاء أمام عباد الله، مما يعني أن وصف الفرزدق للسفن جاء بصيغة تصوير خارجي مبتسر، أفاد فيه من التشبيه النقلي لا أكثر.

ووصف الشاعر في أبيات جاءت عرَضاً ضمن إحدى مطوّلاته التي قالها في مدح (بشر ابن مروان بن عبد الملك)، حال سفينة وربّانها، مقارناً بينها وبين كرم الممدوح، فقال : (البسيط)

ترى الصـراريَّ والأمـواج تلطمُـهُ — لو يستطيـعُ إلى بريَّـةٍ عَبـَـرا

إذا علتـهُ ظـلالُ الموج واعتركتْ — بـِواسقـاتٍ تـرى في مائـها كـدَرا

بمستطيـعٍ نـدى بِشْـرٍ عبابهُمـا — ولـو أعانـهمـا الـزابُ إذا انحدَرا..[١٥]

إذ صوّر الشاعر كرم الممدوح بصورٍ ظاهرة المبالغة، فهو ينطلق منه انطلاق الأمواج العاتية (الواسقات) التي تلطم السفينة وتتدافع حتى تعلوها، بحيث يتمنى ربّانها أنْ يعود بها إلى الشاطئ، فضلاً على أن السفينة وربّانها لا يمكنها أن يبلغا كرم الممدوح في موقفهما ذاك، حتى لو ساعدهما على الخروج منه ماء نهر (الزاب) الشديد الانحدار، وهنا أيضاً بدا تصويره لمشهد السفينة خارجياً مبتسراً، جاء به على أساس التشبيه النقلي لا غير.

أما في إحدى مطوّلاته التي يمدح بها (العباس بن الوليد بن عبد الملك)، فقدّم الفرزدق وصفاً لضعائن حبيبته (ميّة)، وقد مرّت وسط السراب، قائلا : (الطويل)

إذا عرضـتْ مـرّتْ على اللـُجِّ جاريـا — تخـالُ بهـا مَـرَّ السفيـنِ النـّواصِـفِ

يجـورُ بهـا المـلاّحُ ثـمّ يُقيمُـهـا — وتحفـزُهـا أيدي الرجـالِ الجـوادفِ[١٦]

وقد شبّه الشاعر مرور تلك الظعائن تشبيه عالِمٍ بأمور البحر وأحوال ربان السفينة ورجاله (الجوادف)، فهي – الظعائن – تمرّ على السراب البادي وسط الصحراء كما تمرّ السفن وسط لجج البحر، وقد راح ربّانها يوجّه رجاله للإبقاء عليها سائرة باستقامة واعتدال، وهو تشبيه أفاد الشاعر فيه من نقل صورة خارجية للسفينة، واستعار حركتها وتصرّف ربّانها لنقل صورة تلك الظعائن إلى متلقيه.

وللفرزدق خمسة أبيات أُخَر يستهلّ بها قصيدة قصيرة يمدح فيها (أسد بن عبد الله القسري)، يقدّم عبرها صورة أخرى لمركب نهري، مركب حقيقي يبدو أنه "اضطرّ" لركوبه لبلوغ ممدوحه، فهو يخاطبه فيها قائلا : (الطويل)

لَفلجٌ وصَحراواهُ لو سِرتُ فيهما أحَبُّ إلينا من دُجَيلٍ وأفضلُ

وراحلةٍ قد عَوَّدوني ركوبَها وما كنتُ رَكّاباً لها حين ترحَلُ

قوائِمُها أيدي الرجال إذا انتحَتْ وتحمِلُ مَنْ فيها قعوداً وتَحمَلُ

إذا ما تلقَّتْها الأواذيُّ شقَّها لها جؤجؤٌ لا يستريحُ وكَلكَلُ

إذا رَفعوا فيها الشِّراعَ كأنَّها قلوصُ نَعام أو ظليمٌ شمَردَلُ(١٧)

قبل أن يُعبّر لممدوحه عن اعتزازه به وبما له عليه من نِعَم وأيادٍ كريمة، وأن يختم هذه القصيدة القصيرة ذات الأربعة عشر بيتاً بأبيات خمسة أيضاً وظّفها للحكمة، قائلا :

ألا كلُّ شيء في يدِ اللهِ بالغٌ له أجَلٌ عن يومِهِ لا يُحَوَّلُ

وإنّ الذي يغتَرُّ باللهِ ضائعٌ ولكنْ سَيُنجي اللهُ مَنْ يتوكَّلُ

تُبيِّنُ ما يَخفى على الناس غَيبُهُ ليالٍ ، وأيّامٌ على الناس دُوَّلُ

يُبينُ لكَ الشيءَ الذي أنتَ جاهلٌ بذلكَ، عَلاّمٌ به حين تَسألُ

ألا كلُّ نفس سوف يأتي وراءَها إلى يوم يَلقاها الكتابُ المُؤجَّلُ

ذلك إن الشاعر وصف في الأبيات الخمسة الأولى المذكورة آنفاً، عملية ركوبه واسطة نقل نهرية أو بحرية – لأول مرة في حياته كما يبدو – فراح يُشبّهها بالناقة أو النعامة أو الظليم الطويل، ولكنها هنا ليست كذلك، إذ كانت قوائمها هنا أيدي الرجال المجدّفين، وهي إذ تَحمل راكبيها على متنها تُحمَل على الماء في الوقت نفسه، وهي لا تشقّ الموج بعظام صدرها كالناقة، بل بصدر متحرّك لشق عباب الموج، وهي بعد هذا كله شبيهة بحيوانات الصحراء (النعامة والظليم) ما إن يرفع ملاحوها شراعها عند الحاجة، وهو وصف خارجي اعتمد الشاعر فيه التشبيه النقلي، شأنه في النصّين السابقين.

وبالانتقال إلى الشاعر جرير بن عطيّة، يقف البحث على أربعة أبيات من قصيدة له قالها في هجاء بني التيم، وقد راح يشبه فيها رحلته على ظهور النوق المسرعة، بالنعام المفزوع، وبالمركب النهري المشحون (الزنبريّ) الذي ترفعه الريح فوق صفحة الماء وتدفعه، مصوّراً كذلك الملاحين

(الصراري) وقد ألقوا عنهم جميع ثيابهم غير سراويلهم القصيرة (التبابين) التي أخفَوا بها عوراتهم، قائلا : (البسيط)

يَنهى العواذِلَ يأسٌ مِن مَلامتِنا ... والعيسُ عُرضَ الفِجاج الغُبر يخدينا

تخالهنَّ نعاماً هاجَهُ فَزَعٌ ... أو زنبَريّاً زهَتهُ الريحُ مشحونا

يَلقى صَراريَّهُ والموجُ ذو حَدَبٍ ... يُلقونَ بزَّتهُمْ إلا التبانينا

كأنَّ حادِيَها لمّا أضَرَّ بها ... بازٌ يُصَعصِعُ بالسَّهبى قطاً جونا (١٨)

وقد زاد الشاعر فشبَّه رُبّان السفينة بطائر البازي المُحلق فوق سفينته طارداً بقية الطيور التي ترافق رحلتها، مثلما يفعل البازي في الصحراء عندما يرى القطا السود فينقضّ عليها.

هي– إذاً – صور اختلطت فيها مظاهر النهر/ أو البحر بمظاهر الصحراء، شأن ما قدّمه لنا الشاعر الفرزدق، ما دام كِلا الشاعرَين عاش في بادية البصرة ولم يزورا المدينة إلا لماماً وبحسب متطلبات ظروفهما التي عاشاها وقتذاك.

المراكب والسفن في شعر بشّار :

إذا كان ما تقدّم قد مثّل وصف المراكب والسفن المائيّة (نهرية أو بحريّة) من خلال شعر شاعرَين عاشا في بادية البصرة أصلا، وكانا من المُبصرين الذين لم تشُبْ صفاتهما الخَلقية أية عاهة، فكيف تراه كان شأن شاعرنا الثالث، الأعمى منذ ولادته، ابن مدينة/ حاضرة هي البصرة ثم بغداد، مع غرض أو فن وصف المراكب والسفن المخصوص بهذا البحث؟!

يقف البحث في ديوان بشّار بن بُرد على ثلاثة أمثلة بهذا الشأن، الأول منها يُعادل في كمّه قصيدة قصيرة، فهو نصّ بلغ (١١) بيتاً من مطوَّلةٍ مكوّنة من (١١١) بيتاً، مدح بها الخليفة العباسي (المهدي) وولده (موسى الهادي)، بينما جاء المثال الثاني في ثمانية أبيات من قصيدة مدح بها الأمير الأموي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، مكوّنة من (٣١) بيتاً، وجاء المثال الثالث في خمسة أبيات ضمن قصيدة مدح بها الخليفة المهدي العباسي أيضاً، بلغ عدد أبياتها (٥٤) بيتا، فهو إذاً غرض عرَضي كانت وراءه دواعٍ محددة سيقف البحث عندها تالياً.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن ذكر عدد أبيات كلٍ من نصوص الشاعر الكاملة، جاء ليمكن من خلالها أن يتبين المتلقي جانباً من ذكاء الشاعر الذي عُرف به، فهو بدا كمن "مرّر" على ممدوحيه وصفه تلك المراكب، زيادةً في التعبير عن حجم المشاق والمتاعب التي تعرّض لها في

رحلته إليهم، وهو تقليد كان ابتدعه مَن سبقه من الشعراء، منذ عصر ما قبل الإسلام، لكنه بالغ فيه وزاد مثلما فعل دائما.

وإذ وقف البحث على النص الأول، قرأ الباحث في الأبيات (٢٣ – ٣٣) من المطوّلة الشعرية قول بشّار واصفاً المراكب التي وصلت إلى الخليفة : (البسيط)

وقُرِّبَتْ لمسيرٍ منكَ يومئذٍ ... مراكِبٌ منكَ لم تولَدْ ولا تلِدُ

تغلي بهِنَّ طريقٌ ما بهِ أثَرٌ ... في مستوىً ما بهِ حزنٌ ولا جَدَدُ

لا في السماءِ ولا في الأرض مَسلكُها ... ولا تقومُ ولا تمشي ولا تَخِدُ

ولا يَذُقْنَ أكالاً ما بَقيْنَ ولا ... يشرَبنَ ماءً وهُنَّ الشُرَّعُ الوُرُدُ

جونٌ مُجَلَّلَةٌ قُعْسٌ مُجَرشَعةٌ ... ما باتَ يُرمِضُها أيْنٌ ولا خضَدُ

تلوى الأزمَّةُ في أذنابِها وبها ... في السَّير يُعدَلُ إنْ جارَتْ فتقتصِدُ

من كلِّ مُقرَبةٍ للسَّير مُنقِزةٍ ... خوفاً تجَمَّعَ منها الجؤجؤُ الأُجُدُ

من سبعةٍ فإذا أنشأتَ تحسُبُها ... وافاكَها كُمَّلاً في كفِّكَ العَدَدُ

السَّمرُ والنَّجْرُ والنخّارُ يَقرَعُها ... والفقْرُ والقِيرُ والألواحُ والعَمَدُ

فقد وَفَتْ ولها في وفقِها عَلَمٌ ... مثلُ السَّحابةِ في أقرابِها زبَدُ

في نشرةٍ بعد طَيٍّ طِيبَ جاريَةٍ ... جاءتْ تَهادى بهمْ مِن بعدِ ما هَجَدوا (١٩)

فهذه الأبيات تُبدي أمام متلقيها مراكبَ أو سفناً عجيبة، مما (لم يولَد ولا يلِد) (!)، وهي عبارة يبدو تأثر الشاعر فيها بالقرآن الكريم واضحاً، واقتباسه من سورة (الإخلاص) المباركة أو تناصّه معها فريدا، وهي في سيرها إنما تسير في طريق لا تترك فيه أثراً، طريق ليس فيه سهول ولا مرتفعات، وهي مراكب لا تسلك في سيرها أرضاً ولا سماءً، ولا تقوم كالنوق أو تمشي مثلها أو تخِد وخدَها (تسير بخطوات واسعة)، وهي سود عظيمة الصدور منتفخة الجنبَين (مجرشعة) لا تشكو تعباً ولا وجَعاً (خضد)، وهي وثابة (مُنقِزة) تجمّع منها الصدر القويّ، وقد وافى الأمير منها مكتملات الصنعة، ثم راح الشاعر الأعمى بشّار يجمع في البيت الحادي والثلاثين من أبياته هذه العناصر السبعة التي تبنى بها السفن : المسامير والخشب ونخّار الخشب وألواحها التي تتوسطها (الفقر) والقار الذي تدهن به والألواح والصواري، ثم وصفَ الشاعر شراعها المرتفع منها بوجه

الريح والخواصر (الأقراب)، وهي إذ تنشر أشرعتها وتطويها كأنها تنثّ طيب "جارية" قامت تتهادى بهم بعد أن ناموا، وهو تشبيه أفاد منه الشاعر على سبيل المجاز وعلى الحقيقة معاً.

وفي ما قدّم الشاعر من وصف وما شبّه خلاله واستعار وبالغ في التصوير وفي ذكر التفاصيل، إنما عبّر عن دقة ملاحظ بادية الذكاء وعن ثقة بالقدرة على تقديم صور مثيرة للعجب والإعجاب معاً، لم يسبقه إليها المبصرون، في مدلول عبّر من خلاله عن تسجيل مدى حرصه على التعبير عن أدق مشاعره وأحاسيسه تجاه ممدوحه، في نص مديحه هذا الذي بالغ فيه كثيراً ليبلغ غاياته منه، وفي مقدمتها الإشارة الخفيّة إلى أنه حين كان يقول الغزل الفاحش الذي منعه الخليفة عن مواصلة ترديده، إنما كان ينطلق فيه من قدرته هذه على الوصف والتجسيد الحسيّ للأشياء مجازاً لا حقيقة، وهي غاية رئيسة ربما كان توخّاها قبل الحصول على جائزة الخليفة، بنَيل رضاه وعفوه عنه وعمّا استحقّ التعزير عليه، مثلما أخبرت بذلك سيرة الشاعر.

وبالانتقال إلى الأبيات الثمانية من قصيدة بشّار في مدح عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، لأمره بشق قناة/ نهر (المغيث)، نقرأ له قوله في وصف المراكب التي تسير فيه : (البسيط)

إنَ الأميـرَ جَـزاهُ اللهُ صالِحـةً ... في كلِّ صالِحـةٍ أمسى لـه أثـرُ

شـقَّ المغيـثَ لنـا تطغى غواربُـهُ ... من البطائح فيها الغـارُ والعُشَـرُ

حتى انثنى البحـرُ عن دَفّاع جَريتِهِ ... مُستبطِحَ الماءِ حيث الـدُّورُ ينحدِرُ

جَونَ السَّـراةِ كأنّ الجِنَّ تهمِـزُهُ ... إذا بَغى البحـرَ من بـاغٍ فينهمِـرُ

تـخفى القراقيـرُ في دَفّـاع لُجَّتـهِ ... حَينـاً وتظهـرُ أحيانـاً فتنتشِـرُ

تنساحُ في بطن جَيّاشٍ غواربُـه ... تحت السماءِ سماءٍ مَوجُها أشِـرُ

جافى الحُـداءَ إذا مـا لـجَّ أتعَبَها ... حتى تَـزاوَرَ أو فيـهِ لهـا زوَرُ

كأنها الخيـلُ طـارَتْ في مَواطِنِها ... أو رعلـةٌ من بناتِ الهِيق تنشَمِرُ(٢٠)

فهي– المراكب (القراقير) – بدت شبيهة بالخيل أو بقطيع من ذكر النعام (الهيق) التي تختفي وتظهر على صفحة ماء هذا النهر، وهو تشبيه جميل بدا ضاجّاً بالحركة والألوان من هذا الشاعر الكفيف، وقد وصف تلك المراكب وصفاً تصويرياً نقليّاً، فذكر سواد ألوانها وهي تندفع وسط اللجج العاتية، وكيف تطفو على سطح الماء أو تختفي تحت تلك اللجج، وكيف تواجه الموج منساحةً (ولم يقل منسابة) تأكيداً لدقته في الوصف، تحت سماء غائمة مكفهرّة كذلك، بالغيوم المتصارعة في

أفقها، من دون أن يتخلى عن التزامه بما التزم به مَن سبقه من شعراء عصر ما قبل الإسلام، من تشبيه تلك المراكب بالخيل المندفعة كالطيور الجارحة في سماء الصحراء، ومن إرجاع بعض الظواهر الغريبة أو التي تبدو لهم غريبة إلى الجن والشياطين، التي تقف وراء تلك الظواهر، وهي هنا عملية سير المراكب في تلك الأجواء الغريبة، تعبيراً عن ثقافة عربية كانت بالغة الحضور في الحياة الأدبية والاجتماعية قبل الإسلام، ظلت حاضرة ببعض تفاصيلها حتى بعد ظهور الدعوة الإسلامية وانتشارها ورسوخها في الحياة العامة.

أما المثال الثالث من أمثلة وصف المراكب والسفن، فجاء في تضاعيف مطوَلة بشار التي مدح بها الخليفة العباسي (المهدي)، فقد قال في أبياتها الخمسة من (٣٥- ٣٩) : (الطويل)

**وعَـــذراءَ لا تجـري بلحْـمٍ ولا دَمٍ		بعيدةِ شكـوى الأيْـن مُلجَمَـةِ الدَّبْـرِ**

**إذا طعَنَتْ فيهـا القَبَـولُ تشمَّصـتْ		بفرسانِـها لا في سهـولٍ ولا وعْـرِ**

**وإنْ قصَـدَتْ ذلَّـتْ علـى مُتَنصِّـبٍ		ذليـل القَرَا لا شيءَ يَفري كما تفري**

**تُـلاعِـبُ نينـانَ البحـور ورُبَّمـا		رأيتَ نفوسَ القوم من جَريِها تجري**

**تحَمَّـلتُ منهـا صاحِبَـيَّ ومِنصَفـي		تَزِفُّ زفيفَ الهيِق في البلدِ القَفْـرِ**(٢١)

لقد شبّه الشاعر تلك السفينة التي لم تكن من لحم ودم ولا تشكو من التعب، بالفرَس (العذراء) التي ما إن تدفعها الريح حتى تسرع في جريها (تتشمَّص) بفرسانها، ولكن تلك المراكب لم تكن شأن الخيل تسير على الأرض بسهولها ووديانها ومواضع الوعورة فيها، بل على صفحة ماء، وإذا ما خفّت الريح راحت تسير متهادية بدلال على صفحة ماء البحر، الذي يُذلّ لها ظهرَه فتشقّه في سيرها، وتداعب حيتانه بينما ينتاب الفزع نفوسَ ركّابها وسطها، ولاسيما صاحبا الشاعر ودليله (مِنصفه) الذين كانوا برفقته، مختتماً وصفه الدقيق التفاصيل ذاك بأن شبّه جري السفينة البالغ السرعة بسير ذكر النعام في الأرض المقفرة، وهي الصور المتحركة والملوّنة نفسها التي سبق للشاعر أن عرضها في الأبيات التي سبقت هذه، والتي قالها للسبب نفسه الذي سبقت الإشارة إليه بشأن منع الخليفة إيّه من التشبيب الحسيّ الفاحش بالنساء، والتزاماً منه كذلك بتأكيد انتمائه لتلك الثقافة العربية التي كانت شائعة الانتشار في الأوساط الأدبية والاجتماعية يومئذٍ.

الأبعاد الدلاليّة في وصف المراكب والسفن :

ذكر البحث في خلال عرضه لأبيات الفرزدق ، إن الشاعر تهكم في النص الأول من يزيد بن المهلّب، لأنه كان يعيش في بلاد الأزد (عُمان)، وأكثر سكانها من الصيّادين أو العاملين في البحر، بحكم موقع البلد الجغرافي. وقد اتخذ الشاعر من هذه المعلومة وسيلة رئيسة للسخرية من الرجل – وقد خرج على السلطة أو اتّهمَ بهذا – فجعل تشبيهه لعملية صلبه متوافقة مع طبيعة حياته مع البحر والبحّارة وأدوات البحر من مراكب وسفن، محاولاً أن يؤكد معرفته بأمور البحر، وهو البدويّ ابن بادية البصرة، فضمّن وصفه المبتسر للسفن في مدحته للخليفة، زيادة في كسب إعجابه ربما، بينما نقل لنا في النصّين الآخرَين صورتين متعاكستين، عرض في أولاهما وصفاً لظعائن الحبيبة (ميّة) مشبّهاً إياها بالسفن، تعبيراً عن تواصله مع ثقافة عصره التي انتقلت عبرها صور التشبيهات المتناقـَلة منذ عصر ما قبل الإسلام بين وسائط النقل الصحراوية والمائية، وعرض في الثانية رحلته التي اضطر فيها لـ "امتطاء" ظهر مركب أو سفينة عند توجهه إلى ممدوحه، وكان عليه أن يقارن بينه وبين ظهور الرواحل البريّة التي اعتاد ركوبها انطلاقاً من تلك المعرفة الثقافية الذائعة، فضلا على ما ذكره البحث بشأن محاولة الشاعر تأكيد امتلاكه معلومات "حضريّة" عن السفن وهو البدوي وليد الصحراء، المنتسب إلى بواديها.

وقد بدا وصفه للمراكب والسفن في النصّين الأوّلين ذا دلالة تصويرية/ تشبيهية خارجيّة قدّم فيه الشاعر رؤية واحد من مشاهدي هذه السفن –أو إحداها – في أثناء مروره بحاضرة البصرة في إحدى رحلاته إلى ولاتها وأمرائها، مادحاً أو شاكيا أوضاعه المعيشية أو أحوال قومه، فهي مداليل ظاهرة لدوالّ ظاهرة كذلك.

أما تشبيهه لحاله عند تعويده أو "اضطراره" ركوب السفينة لبلوغ ممدوحه (أسد بن عبد الله)، الذي سبقه بالإشارة الدالة على تفضيله قطع "فلج وصحراوَيه" وحبّه لها على الرغم من المتاعب التي يواجهها فيها، على قطع نهر "دُجيل" الذي لم يكن له سابق معرفة بمتاعب الرحلة عبره، فهو تشبيه حمل دلالة وصفية داخلية للشاعر ومشاعره وأحاسيسه، حيث الخوف والقلق من أول مواجهة له مع رحلة كهذه، إذ قدّم لنا تجربته الشخصية من الداخل هذه المرة، على العكس من الحالة التي قدّمها في الأبيات السابقة، من جهة، وإذ قدّم لنا "معايشته" المباشرة لا مجرّد "مشاهدته" لتجربة ركوب النهر أو البحر، من جهة ثانية.

والأكثر بُعداً دلاليّاً مما تقدّم، هذه المداليل التي أظهرها الشاعر في وصفه المعبّر عن الاندهاش حيال السفينة، إذ ضخَّم أمام متلقيه صورتها تضخيماً يماثل "ضخامة" حجم مخاوفه ومشاعره القلقة، فهي في مواجهة الأمواج الطامية لها صدر "جؤجؤ" متقلقل مضطرب لا يستقرّ ولا يستريح، ومن ثم فهي لا تـُريح –بالضرورة – راكبها الخائف المضطرب المشاعر أصلا، مثلما تبدو شبيهة بالضخام من النعام والطوال من ذكورها، عندما يُرفع شراعها(!) وياله من معادل دلالي بالغ الدقة والجمال في آن لحالة الشاعر (الفرزدق) راكب السفينة لأول مرة، وما عكسه على حال السفينة من مخاوفه ومشاعره القلقة وما هوَّله من شأنها، حتى لقد جعل لممدوحه في هذه القصيدة أربعة أبيات من مجموع أبياتها الأربعة عشر، ليُغادر غرض المديح مستكملاً بقية أبيات القصيدة بعرض سلسلة من النصائح والحِكم، المنبثقة من ذلك الشعور الطاغي بالخوف والرهبة، ومن روح حاول أن يؤكد إيمانها وشدة تمسُّكها بقضاء الله تعالى وقدره وما كتبه على المخلوقات من آجال تستوجب مراعاتها، مثلما ذكر في أبيات النص الخمسة الأخيرة التي ذكرت آنفا.

أما المقطع الذي تم اختياره من قصيدة جرير في هجاء التيم؛ فهو من أبيات مستهلّ القصيدة المنطلق من النسيب، على جاري عادة معظم الشعراء المتمسكين بسياقات القصيدة التقليدية، فقدّمت مدلولاً على معرفة الشاعر بشؤون البحر وشجونه، وعلى ما يشير إلى اعتياده ركوب المراكب والسفن، على العكس من صاحبه (الفرزدق)، من خلال ما أوصله إلى متلقيه من وصف لا يخلو من دقة للـ (الزنبري) وربّانه وملاّحيه ولتصرفاتهم عند مواجهتهم الرياح الهائجة في أفق السماء والموج الطامي من حول مسار السفينة.

وبالانتقال إلى أبيات بشار بن بُرد المختارة من مطوّلته الأولى، سنجد الشاعر حاضراً بثبات جَنانه واستقراره النفسي وحيويته بكاملها، فهو في موضع مدح خليفة أولا، وهو "وصّاف" لموكب السفن المتجه نحو الممدوح من خارج الرحلة من جهة ثانية. إنه أعمى مكفوف البصر بلا شك لكنه بدا كمن وقف على شاطئ النهر/ البحر مراقباً حركة ذلك الموكب البحري، وقد انثالت في ذهنه صورٌ أولى مما سمع به عن مواكب الظعون والرحلات البريّة على ظهور النياق، فراح يعقد المقارنة تلو الأخرى بين هذه السفن وبين تلك النياق، في صور متلاحقة بتشبيهاتها بالغة الدقة في التفصيل، ينتهي كلٌ منها أو ينطلق كلٌ منها من موقف مسبق يقتضيه الحال، حال المدح المخصوصة قصيدته بها ، أي بأن تكون نتيجة المقارنات لصالح هذه السفن البحرية التي تختلف

تماماً عن غيرها من وسائط النقل البريّة، والصحراويّة منها تحديدا، في أمور عدّة نجح في قدها بين طرفي التشبيه المذكورَين.

ذلك إن تلك السفن التي كانت تقترب من الممدوح، إنما هي سُفنه أصلاً التي لم يلِدها أحد ولم تلِد أحدا، على العكس من النياق بالتأكيد، وهي تسير على طريق غير الطرق البريّة الرملية وما تتركه النياق من آثار حركتها فوقها، فضلا عن كونها – زيادةً في تضخيم شأنها لدى متلقيه الممدوح – لا تسلك طريقاً معروفاً شائعاً كالنياق أو طيور الجو، ولا تجترّ طعامها مما خزنته في أجوافها، ولا تشرب ماءً على الرغم من أنه وسيلة سيرها إلى الممدوح، ثم إن تلك السفن لا تشعر بتعب ولا وجع في أعضاء جسمها، وهي تتحرك بأساليب غير التي اعتادت أن تتحرك بها النياق، أي بالحث الذي يتولاه الحُداة عادة، بل من خلال ملاّحين أشدّاء وأشرعة كالأعلام.

وعلى هذا يمكن القول :

إن الشاعر (بشار بن بُرد) في هذه الأبيات لم يركب البحر بنفسه، ولم يمتطِ متن أيٍّ من سفن بحريّة الدولة العباسية تلك، بل ركب ظهر (المبالغة) في الوصف الشعري، لتقوده المبالغة تلو الأخرى إلى "أم المبالغات" في ختام النص المجتزأ، ليُري المبصرين – والخليفة المهدي العباسي أوَّلهم – ما لا يخطر في أذهانهم من شؤون هذه السفن ومن قدراتها العجيبة.

أما الأبيات المختارة من قصيدته في مدح (عبد الله بن عمر بن عبد العزيز)، فقد جاء وصفه المراكب والسفن خلالها من خارجها أيضا، في صوَر تقليدية لم يرَها شاعرنا بشار بنفسه بالضرورة، بل كانت نتاج ثقافة عربية تتنقل بين العصور وأجيالها، وإن جاءت المبالغة في وصفها في إطار ما عُرف به بهذا الشأن، فهي تخفى وتظهر فوق سطح الماء، وهي "تنساح في بطن جيّاش" وهي كالنوق التي يتعبها الحداة مرة وكالخيل التي تطير في مواطنها، أو هي شبيهة بقطيع من ذكور النعام (الهيق)، وفي ذلك الوصف ما فيه من ملامح تلك الثقافة وأسبابها..

أما أبيات المقطوعة الثالثة المختارة لأغراض هذا البحث، فتشير دلالاتها الظاهرة فيها إلى ركوب الشاعر متن السفينة هذه المرّة، في رحلته إلى ممدوحه الخليفة العباسي (المهدي)، إذ بعد أن عرض بشار لمتلقيه شيئاً مُبتسراً من مواصفاتها التي سبق أن قدّمها في أبيات مطوَّلته الأسبق ذكراً هنا، التي تشير إلى أنها من مسموعاته ومن نتاج ثقافته مثلما ذُكر في الأسطر السابقة، مع بعض التغييرات الطفيفة، فهي :

وعـــذراء لا تجـــري بلحـــمٍ ولا دَمٍ بعيـدة شكوى الأيْـن مُلجَمَـة الدَّبـرِ

وهي تعجل في سيرها بمَن على متنها إذا ما طعنتها الريح، وهي في مسيرها لا تسير في سهول ولا في أراض وعرة، فضلا عن كونها يمكن أن تتهادى وتمشي مشية الدلال إمّا أبطأت، وبإمكانها ملاعبة حيتان البحر وإثارة حفائظ ركّابها، ليلتفت الشاعر بعد هذا كله فيذكر في البيت الأخير من النص تحمُّله "منها " صاحبَيه ودليله وهي تسير مسرعةً كذكر النعام أيضاً في رحلتها به إلى الخليفة الممدوح.

هو إذاً وصف جاء عرَضاً لتلك السفينة، وعلى الرغم من هذا حاول الشاعر أن يُبدي شيئاً من ذكائه وشعوره بقدرته على الإتيان بما يأتي به المبصرون، ولاسيما إذ يكون قد خصَّ قصيدته بمدح وليّ نعمته الذي أمره بترك التلاعب بمشاعر الحرائر والإصرار على إطلاق غزلياته الحسيّة الفاضحة، وهو الموضوع الذي عبّر عنه شاعرنا في هذه القصيدة وأخريات عديدة غيرها، بمداليل حاول إخفاءها ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

بيد أن بالإمكان أن يتلمّس المتلقي من أبيات الوصف التي تم اختيارها هنا مدلولاً خفيّاً (مُغيَّبا) يتعلق أوّلاً بأصل غرض القصيدة، نعني مدح الخليفة وتأكيد التزام الشاعر بأمره آنف الذكر، إذ نرى أن الشاعر بشاراً إنما أراد أن يُخبر ممدوحه بأنه شاعر أعمى لا يُبصر شيئاً ولم يُبصر شيئاً طوال حياته، وبأنه على الرغم من هذا يمكنه أن يُبدع في وصف ما لم يرَ، ومن ثَمَّ فإن ما وصفه من مشاهد المراكب والسفن لا يختلف بشيء عن وصفه لمفاتن النساء الحسيَّة البالغة الدقَّة حدَّ إثارة حفائظ المتحفّظين ضدَّه، وإن كان هذا البحث غير معنيّ بهذا الأمر إلا عرَضاً، شأن موضوعه العرَضي بين الأغراض الشعرية التقليدية المعروفة.

الخاتمــة :

حاول هذا البحث أن يقف على موضوع يدخل في غرض الوصف، وصف المراكب والسفن البحرية في أشعار ثلاثة من الشعراء المعروفين : الفرزدق وجرير وبشار بن بُرد، للتعرّف على مدى دقة وصفهم لوسائط النقل النهرية والبحرية هذه، ولاسيما إذ كانوا ممن عاش في الحقبة الأموية من العصر الإسلامي، ولقضاء الاثنين الأولين منهم جُلّ حياتهما في بادية البصرة أو في حاضرتها، أو رحلات عدّة إلى مركز الخلافة الأموية في دمشق أو إلى الحجّاج الثقفي في واسط، بحسب ما اقتضته منهما ظروفهما المعيشية، وقضاء الثالث منهم حياته في حاضرة البصرة ثم في

حوران وبغداد، ومن ثمّ فهم كانوا يلتقون مكانياً – إلى حدٍّ ما – أو في جزء من حياتهم، وقد عاشوا ظروفاً متشابهة إلى حدٍّ ما أيضا، من حيث إكثارهم من غرض المديح في أشعارهم، وإن اختلف شأن الثالث منهم (بشّار) من حيث فقدانه لحاسة البصر.

من هنا كان على البحث محاولة الوقوف على هذا الغرض العرَضي من أغراضهم الشعرية التي شُهروا بها أصلا، كالنقائض أولاً بالنسبة للشاعرين الأولين، وكالمديح والغزل الحسي الفاحش بالنسبة لثالثهم، وكان من نتائج البحث ما يأتي :

١. إن جُلّ اهتمام الدارسين انصبَّ – إلا في دراسات قليلة – في نقل آراء محدَّدة بشأن أغراض هؤلاء الشعراء الثلاثة، من حيث انهماك الشاعرَين الأولَين بالنقائض التي تساجلاها بينهما، وببعض فنون الشعر وأغراضه التي عدّوها أقرب إلى الأغراض الثانوية منها إلى الرئيسة في أشعارهما، بينما "ألح" أولئك الرواة والنقاد القدامى وتبعهم المحدثون على تأكيد انصراف معظم شعر ثالثهما إلى المديح والهجاء والغزل، وانهماكهم في بحث ملامح زندقته من خلال شعره.

٢. إن اهتمام الدارسين والباحثين بوصف المراكب والسفن في أشعار الشعراء الثلاثة، جاء في إطار دراسة وصف البحر والنهر في الشعر العربي تارة، وفي إطار دراسة الرحلة في الشعر العربي موضوعيّاً وفنيّاً تارة أخرى، فكانت نتائجها – من ثم – بحاجة إلى مزيد بحث فيما تناوله هؤلاء الشعراء من وصف هذه الوسائط، وما قدّموه من صور نقلية تشبيهية أو استعارية، من خارج هذه الوسائط أو من داخلها، وما أظهروه من تمسّك بثقافة عربية قديمة ظلت تأثيراتها واضحة المظاهر في الكثير من أشعارهم.

٣. تبيّن بالوقوف على مداليل نصوص الشعراء المختارة لأغراض البحث، أن الشاعر الأول (الفرزدق) لجأ في نصّه الأول من أصل ثلاثة نصوص قصيرة ضمن ثلاثة قصائد مختلفة الأطوال له، إلى الوصف الخارجي للسفن، متهكماً في أوّلها بأحد الخارجين على السلطة ولكن بأسلوب العارف بشؤون البحر وقيادة وسائطه، بينما كان في النص الثاني مبالغاً في تشبيه كرم ممدوحه بها، وبدا في النص الثالث من المضطرّين لركوب إحدى السفن، وقد أظهر مدلول ركوبه متنها لأول مرة في حياته، من خلال ما أبداه النص من مخاوفه وقلقه واضطرابه من جهة، واستكماله النص بعرض موقفه الإيماني بقضاء الله وقدَره من جهة ثانية، وهي مداليل تؤكد أموراً في حياة

الشاعر لم تكن قد لقيت كثير اهتمام من الدارسين، لا بل تتقاطع مع الكثير مما تناقله الرواة القدامى عنه، ولاسيما بشأن بداوته وسوء سلوكه وضعف إيمانه.

٤. إن نص جرير أشار إلى معرفته المسبقة بشؤون المراكب والسفن وقيادتها، لأنه تضمّن وصفاً دقيقاً لهذا – وإن جاء مبتسراً – ضمن أبيات قصيدة نسيب من بين قصائده، بما يشير إلى أنه كان قد أفاد من زياراته إلى حاضرة (البصرة) وانعكاس بعض فوائد تلك الزيارات في بعض أشعاره، وهو ما عُدَّ من مظاهر التطوّر الحياتي في العصر الذي عاش فيه، ولم يُشر أحد من الدارسين إلى ذلك التأثير المعرفي النامي في عقل الشاعر.

٥. إن نصوص الشاعر بشار بن برد الثلاثة التي عالجها البحث، جاءت لتؤكد أوّلاً وقبل كل شيء مقدرته على الإتيان بوصف بالغ الدقة للمراكب والسفن، من حيث تشبيهها بالنوق ، مع تفاصيل سبق سواه من الشعراء إليها من جهة، دلت على حضور التطور الحياتي والثقافي في حياة عصره وما وصلت إليه صناعة المراكب والسفن من بين صناعات أخرى ظهرت وشاعت آنذاك في ذهنه، من خلال ذكره ما عرفه من معلومات عن صناعتها وتفاصيل أجزائها من جانب آخر، مثلما ظهر هذا في أبيات النص الأول الذي اختاره البحث من بين نصوصه، والذي فاق به المبصرين من الشعراء، وقدّم في النصّ الثاني صوراً تقليدية من مسموعاته للمراكب والسفن، من دون أن يغفل ذكر ما أشاعته الثقافة العربية القديمة عن دور الجن والشياطين – مثلاً – في الوقوف وراء الظواهر الغريبة التي صادفها الإنسان العربي في حياته، ومنها مسير هذه الوسائط عبر الأمواج العاتية والرياح العنيفة، فضلاً عن التشبيهات المنقولة عن تلك الثقافة، بينما قدّم في النص الثالث وصفاً لم يخرج به عما سُبق إليه، وإن ضمّنه تفاصيل مبتسرة عما صادفه عند ركوبه إحدى السفن، حتى بدا فيما أظهره البحث من مداليل النص كمن يدفع عن نفسه التهم التي ألصقها به الآخرون عن فحشه في نقل الأوصاف الجسديّة الحسيّة، ولاسيما بعد أن هدّده الخليفة (المهدي) العباسي بقطع لسانه إن واصل فحشه وتعرّضه للنساء عبر الكثير من نصوصه، وذلك من خلال نقله مواصفات السفينة من دون أن يكون رآها، وهو مدلول آخر على ذكائه وحُسن تخلّصه من المتاعب التي كان يواجهها، وإن أدت به إلى القتل مصيراً انتهت به حياته.

الهوامش :

(١) ينظر: وصف البحر والنهر في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني، د. حسين عطوان، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٩٨٢.

(٢) ينظر في سبيل المثال؛ ديوان الفرزدق، تحـ : كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦: ٢/٢٩٤ قوله :

فإني حامـلٌ رحلـي، ورحلـي		إليكَ على الوُهونِ من العظامِ

على سفـُنِ الفـلاةِ مُرَدَّفـاتٍ		جُنـاةَ الحربِ بالذكـَرِ الحُسامِ

(٣) ديوان امرئ القيس، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨ : ٥٧.

(٤) شرح الأشعار الستة الجاهلية، للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي، تحـ: ناصيف سليمان عواد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠ : ق٣/١٣.

(٥) الأنوار ومحاسن الأشعار، لأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي (ت ٣٧٧هـ)، تحـ: صالح مهدي العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧ : ٢٠٢.

(*) عمرو بن بَرّاقة الهمداني، أحد عدّائي العرب وصعاليكهم، نقلا عن : الإصابة ٤/٢٩٠.

(٦) الأنوار ومحاسن الأشعار : ٢٠١.

(٧) نفســه : ٢٠٢مع هامشها.

(٨) ينظر؛ الرحلة في الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، أ.د. سحاب الأسدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٢ (علماً أن الدراسة كانت في الأصل أطروحة دكتوراه في الأدب العربي/ كلية التربية ابن رشد) : ٩٠و١٢٣ وما بعدها و٣٢٩.

(٩) ديوان الفرزدق : ٢/١٣.

(١٠) نفســه : ٢/٧٩.

(١١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٩٦٣ :٢/٢٧٨.

(١٢) نفســه : ١/١٢٠.

(١٣) في الأدب وفنونه،علي بو ملحم، المطبعة العصرية، صيدا – لبنان، ١٩٧٠: ٦٦.

(١٤) ديوان الفرزدق : ١/٢١٣.

(١٥) نفســه : ١/٢١٥.

(١٦) نفســه : ٢/١٣.

(١٧) نفســه : ٢/٧٩ وما بعدها.

(١٨) ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحـ: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦ : ٢/٥١٤.

(١٩) ديوان بشار بن بُرد، قرأه وقدّم له : د. إحسان عباس، دار صادر، ط٢، بيروت، ٢٠١٠: ٢٣١.

(٢٠) نفســه : ٣١٧.

(٢١) نفســه : ٣٦٣.

In Farazdaq and Greer and Bashar Poetry

Assit. Prof. Abdul Muttalib Mahmood
AL – Muthanna University
Basic education Coiiage

Summary

This research studies describe three poets were: Farazdaq and Greer and Bashar ibn Burd, for ships and sailboats in their poetry, and only recorded on them, in spite of the fame of the purposes of the lattice head of the sub-mission did not receive this description, including interest from before us to study the texts of poetry, etc. can be detected from the variation in the description of the process of creativity and this mode of transportation, especially as it knew third was afflicted with blindness since birth.

These poets of the three gave a description externally for ships and sailboats predecessors other poets him, and followed by others in it, and gave them a description internally to his feelings and his feelings when riding was very creative, and it was a completely new .. and this is what we finished him in this research, we hope we have achieved what we wish him and this what we hoped to achieve.